

كلمة مؤسس ورئيس "بيت المستقبل" الرئيس أمين الجميل

"لبنان: مراجعة تاريخية ورؤية إصلاحية"

مؤتمر ١٧ حزيران ٢٠٢٢

* * * * *

"لبنان: مراجعة تاريخية ورؤية إصلاحية" ليس صناعة سهلة، وبخاصة بعدما وصلت الاوضاع المأسوية الى ما وصلت اليه، لدرجة أن اللبنانيين بلغوا قدراً من الحيرة والتساؤل حول ما اذا كان لبنان لا يزال قادراً على النهوض يوماً ما من أزمته.

ولمزيد من الاحاطة، ولفهم أفضل لنواحي الأزمة اللبنانية، أعتقد أنه من الجيد إجراء مراجعة سريعة لمراحل تكوين الكيان اللبناني، مع ما رافقها من مناورات وأطماع سبقت نشوء دولة لبنان الكبير والتي لا تزال تداعياتها فاعلة في تاريخه، تُحدث فيه التأثير والاختلال.

سأتناول في عرضي أيضاً الجهود الشاقة والأساسية التي قام بها اللبنانيون - أسطورة سيزيف، يقول البعض - في سبيل بناء الدولة التي يطمحون اليها.

تقارب المحاور الأربعة في هذا المؤتمر الوضع في كل أبعاده السياسية، والبنوية، والمؤسسية، والاقتصادية والاجتماعية، وتطرح استشرافات لاعادة بناء لبنان بدعوته الكونية.

وفي استرجاع لمراحل نشأة لبنان، سنتوقف سريعاً عند جهود اللبنانيين وشركائهم وأصدقائهم، ولا سيما فرنسا، الذين حملوا في قلوبهم ووجدانهم قيام الأمة اللبنانية التي رفعت منذ البداية رسالة وئام وسلام في هذا الشرق المضطرب والممزق.

في العام 1919، وعلى أثر تفكك السلطنة العثمانية، بدأت القوى الكبرى تضع تصوراً لمستقبل لبنان. وبدفع من اللبنانيين المقيمين والمغتربين من كل الطوائف، تولى البطريرك الماروني الياس الحويك، مكلفاً من مجلس ادارة جبل لبنان، متابعة المفاوضات مع الادارة الفرنسية لرسم مصير لبنان ومستقبله، مفاوضات كان قد بدأها داوود عمون الذي ترأس أول وفد رسمي الى مؤتمر الصلح في باريس. ونظراً للسن المتقدمة للبطريرك، حلّ مكانه الى مؤتمر فرساي وفد يرأسه المطران عبدالله الخوري.

لكن للأسف، شهدت المفاوضات منذ بداياتها مشادات ومنازعات، وبخاصة لجهة ترسيم حدود الدولة الجديدة، مع ما يترتب على ذلك من انعكاسات على المستويات الديموغرافية والاجتماعية. هذه العملية سنترك أثرها على مسألة الولاء الشعبي الذي سيبقى مصدر انشغال دائم في الداخل، وعملاً مساعداً للتدخل الخارجي في الحياة

الوطنية اللبنانية. وخلال كل مراحل تاريخه، تعرض ويتعرض لبنان لشيطنته على خلفية هذه الانقسامات الجغرافية والاجتماعية.

إذاً ومنذ نحو مئة عام، وتحديداً في 27 آب 1919، بدأت المفاوضات حول اعلان دولة لبنان الكبير مع وصول البطريرك الياس الحويك الى باريس ولقائه الرئيس ريمون بوانكاريه، ثم تقدمه في 25 أيلول بمذكرة أمام مؤتمر فرساي. وفي العاشر من تشرين الثاني، أبلغ جورج كليمنصو، وكان رئيساً للحكومة الفرنسية ورئيساً لمؤتمر فرساي، البطريرك الحويك بموجب كتاب نوايا اعتراف فرنسا بمطالب لبنان المحقة، واعتُبر هذا التعهد بمثابة وثيقة الاستقلال. حصل كل هذا بصرف النظر عن بعض تحفظات المفاوضين الفرنسيين والأجانب.

الا أن التحديد الجغرافي والاطار النظامي لهذا الكيان اللبناني بقيا من دون بلوغ أي حل نهائي. وجاء أول اعتراض في الخامس والعشرين من كانون الأول من العام 1919 من أمير العراق، الأمير فيصل الذي كان يطمح الى انشاء ملكية عربية تضم لبنان، وبالتالي كان يرفض فكرة قيام لبنان مستقل. وفي السادس من كانون الثاني 1920، أعلن فيصل جهاراً معارضته قيام الدولة اللبنانية المستقلة، وعارض تحديداً ضمّ البقاع وحاصبيا وراشيا الى هذا الكيان المستقل. وجدد معارضته هذه خلال زيارة له الى باريس في الحادي والعشرين من شباط من العام 1920. كل هذا والمفاوض الفرنسي فرنسوا جورج بيكو يعلن في 16 شباط النية لسليخ بيروت وطرابلس عن الدولة اللبنانية. الموقف ذاته عبّر عنه مسؤول دائرة الشرق الأدنى في الخارجية الفرنسية وأيضاً لدى مؤتمر فرساي Robert de Caix الذي أعلن التوجه الى اعتبار بيروت مدينة مفتوحة، كما والتوجه الى ايجاد نظام خاص لجنوب لبنان والبقاع وراشيا. حتى أن De Caix كان يدّعي أن اللبنانيين غير موحدين في نظرهم لترسيم حدود لبنان، وكان يطرح نظاماً خاصاً لبيروت وطرابلس. ووجب الانتظار حتى الرابع من آب من العام 1920 ليعلن الجنرال هنري غورو، خلال زيارة قام بها لمدينة زحلة، ووسط حماس جماهيري، ضمّ الأفضية الأربعة: البقاع، بعلبك، راشيا وحاصبيا، في وقت كان وزير الخارجية الفرنسي Alexandre Etienne Millerand يعلن في باريس قرار حكومة بلاده بالاستجابة لنداءات الوفد اللبناني بالاعتراف بلبنان بحدوده الحالية، كما سبق واعترفت به فرنسا منذ العام 1860.

* * * * *

قدّمت هذا العرض التاريخي لتبيان كم كان اعلان استقلال لبنان شاقاً وعرضة للضغوط والاعتراضات المختلفة والمفاوضات الشاقة، التي تركت تداعياتها لسنوات لاحقة. ولم تقتصر الصعوبات على ما سبق، بل انه وبعد الاعلان الرسمي لقيام دولة لبنان الكبير في 1 أيلول 1920، وبعد اعلان استقلال لبنان عام 1943، لم تتوقف المزاعم والمحاولات التي كانت تستهدف الاستقرار وتعمل على زعزحته.

وفي الواقع،

في العام 1948،

جاء نشوء دولة اسرائيل ليعيد طرح مسألة حدود الدول في منطقة الشرق الأوسط وتهديد استقرار لبنان. كما أن نزوح الفلسطينيين الوافدين بمئات الالاف الى لبنان سيفعل فعله الخطير على التوازن الديموغرافي اللبناني وفي الحياة الاقتصادية والاجتماعية. وسيكون مصدر العديد من الأزمات وفي أغلب الأحيان، الأزمات المميّنة.

في العام 1956،

شكّلت الثورة الناصرية على لبنان من خلال شططها وإسقاطاتها تحت ستار الوحدة العربية، مصدراً رئيساً لزعزعة الاستقرار. ولم تتوقف الاستهدافات الناصرية الا بعد نزول قوات المارينز الاميركية على الشاطئ اللبناني.

في العام 1969،

كانت إسقاطات الانتفاضة الفلسطينية على الداخل اللبناني ونزعة منظمة التحرير الفلسطينية الى قيام دولة فلسطينية في لبنان وتحويل لبنان الى هانوي.

في العام 1977،

كان وضع يد سوريا على لبنان بحجة اعادة السلام الى البلاد.

في العام 2005،

كان وضع يد ايران على لبنان تحت ستار المقاومة الشيعية ضد اسرائيل. ومن دون أن ننسى طبعاً غزو الجيش الاسرائيلي للبنان خاصة عامي 1982 و 2006، ما أدخل لبنان في أتون من النار والدم مع ما استتبع ذلك من تداعيات مدمرة للسيادة والوحدة الوطنيتين وأمن المواطنين.

* * * *

هكذا ارتسم مسار لبنان خلال قرن من الاستقلال. لبلد صغير، كمّ كبير من التعقيدات والأزمات.

كيف لبلد صغير كلبنان أن يواجه موجات من التعرّض لشؤونه الداخلية؟

انها الاعجوبة اللبنانية في صمود لبنان وبقائه وحفظ مؤسساته ودعوته ورسالته.

خلال مئة سنة، قاوم لبنان، وصمد، وحقق العديد من أهدافه الوطنية:

أولمّ يتميّز لبنان في احدى حقبات تاريخه من خلال إرساء الحوكمة الجيدة في عهد الرئيس فؤاد شهاب؟

أولمّ يتميّز، رغم كل العوائق، كدولة فريدة في المنطقة، فخورة بثقافتها، ودورها ورسالته الكونية كما وصفها البابا يوحنا بولس الثاني.

فلنسترد لبنان ونعيده دولة القانون والعدالة بعدما بلغ مستويات خطيرة من الاغتيالات وتهديد الناشطين ومضايقتهم من دون الكشف عن المرتكبين ومنع سوقهم للعدالة ليكونوا عبرة لسواهم ولوقف عادة الافلات من العقاب. أشدد أن زمن الافلات من العقاب انتهى باصدار غرفة الاستئناف في المحكمة الخاصة بلبنان حكمها بالاجماع على اثنين من المنتميين الى حزب الله بعد ثبوت ضلوعهم في جريمة اغتيال الرئيس رفيق الحريري ورفاقه. لكن، ماذا عن الجرائم التي ارتكبت في لبنان والتي بقيت من دون نتيجة مثل ما حصل في جرائم اغتيال المفتي الشيخ حسن خالد وكمال جنبلاط والرئيسين بشير الجميل ورينيه معوض وشهداء ثورة الارز بيار الجميل، أنطوان غانم، جبران تويني، سمير قصير، محمد شطح ورفاقهم وصولاً الى الناشط لقمان سليم. ان الشعب اللبناني يمثل هذا النموذج للمقاومة المستدامة صوناً للقيم التي طالما دافع عنها. ان الغاية من هذا المؤتمر هو استخلاص العبر من الحقبات السابقة بكل أبعادها، واقتراح الحلول الكفيلة بمستقبل آمن ومزدهر. ان هذا المستقبل لا يمكن تحقيقه الا بالرجوع الى الثوابت التي حكمت نشأة لبنان وكرست موقعه ودوره. وأقصد بالثوابت:

- 1-احترام مبدأ المساواة وحقوق الانسان المكرسة في كل المواثيق الدولية.
- 2-الاحترام المطلق للدستور اللبناني الذي حمى لبنان بوجه كل الحركات المخلة بسلمه الاهلي.
- 3-احترام التقاليد المدنية للبنان، التي وأبعد من النص، أمنت له المناعة طوال تاريخه.
- 4-تحديث البنى الاجتماعية والاقتصادية بما يمكن من استنهاض الاقتصاد اللبناني واعادة انبعائه واحياء السلم الاجتماعي.

* * * * *

في الختام، أتمنى التوفيق للسادة المحاضرين والمشاركين على أمل أن يشكل هذا المؤتمر مساهمة متواضعة في حل الأزمة الكبرى التي يعاني منها لبنان.